الشّعر العربي الاجتماعي النيجيري:
ميمية عثمان عبد السلام محمد الثقافي نموذجا

إعداد:

بدماصى عيسى عبد الواحد

NIGERIAN ARABIC SOCIAL POETRY:
UTHMAN ABDUL SALAM MUHAMMAD'S POEM AS A CASE STUDY

By:

Badmus Issa Abdulwaheed

Assistant Lecturer, General Studies Unit.
Fountain University, Osogbo,
P.O. BOX 4491 Oke-Osun, Osogbo, Osun State
E-mail: badmus.issaabdulwaheed@gmail.com

التمهيد:

إنّ الأدب العربي النيجيري عبارة عن الإنتاجات الشعرية والنثرية لأدباء هذا البلد. وتتناول هذه الإنتاجات الأحداث والوقائع التي أزعجت المجتمع الذي عاشوا أو يعيشون فيه. وسعيا لصد تيار هذه الأحداث التي تهدد صلاح المجتمع قام هؤلاء الأدباء باستخدام الشعر الذي هو أَبْلغ وسيلة من الوسائل الأدبية لتهييج عواطف الناس وإرشادهم إلى التنقيح الاجتماعي ومحاربة الفساد الأخلاقي. وإذا اتخذ الأدب قضية من قضايا المجتمع الكبرى موضوعا، يكون ذلك الأدب أدباً اجتماعيّاً، وحينما يؤدي الأدب الاجتماعي إلى التغيير البطيء عن طريق الإقناع والنصح، يكون ذلك الأدب الاجتماعي أدباً اجتماعيًّا إصلاحياً.

وهذه المهمة الاجتماعية هي التي قام بها الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي في قصيدته (الميمية) التي مطلعها:

سُــؤَالِي إِلَى أَذْكَى الشَّبَابِ مُقَدَّمٌ ** وَكُـلُّـكُـمْ أَذْكَى لَدَيَّ وَأَحْـكَمُ[1]

نالت هذه القصيدة الإعجاب والإقبال لدى الواعظين من العلماء، حتى أنهم يستشهدون بها في مجالس الوعظ والإرشاد. وسيتم عرض هذا الموضوع حسب النقاط الآتية:

- مفهوم الشعر الاجتماعي.
- تطور الشعر الاجتماعي.
- الشعر الاجتماعي في نيجيريا.
- نبذة يسيرة عن حياة الشاعر.
- مناسبة القصيدة.
- عرض القصيدة .
- مضمون القصيدة.
- أفكار الشاعر في القصيدة.
- أسلوب الشاعر في القصيدة.
- مقتطفات عروضية في القصيدة.
- مقتطفات بلاغية في القصيدة.
- خصائص الشعر الاجتماعي في القصيدة.
- الخاتمة.
- المصادر والمراجع.

مفهوم الشعر الاجتماعي:

هو الشعر الذي يتناول قضية من قضايا المجتمع كالعدالة الاجتماعية، ونشر التعليم، ومشاكل العمل، ومحاربة الانحلال الخُلقي، والحث على الإصلاح عموماً. ويكون ذلك بتحديد العلّة والداء، وتشخيص السبب واقتراح العلاج. ويتناول الشعر الاجتماعي بعض الموضوعات الأخرى التي أسهمت كثيرا في نشر الوعي الاجتماعي وتبصير الناس بسبل التقدم في الحياة ولفت أنظار الناس إلى نبذ التقليد الأعمى للحضارة الغربية. ويلجأ بعض الشعراء إلى الرمز لنقد الناس في مواقفهم وتصرفاتهم، أو لتوجيههم وإرشادهم.[٢]

ومن خصائص الشعر الاجتماعي أنه شعر هادف، يرمي إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية باستعمال أساليب الإقناع لتحقيق مراميهم، مثل:

- تعريف الناس بحقوقهم وسبل المطالبة بها.
- تسجيل الأحداث والوقائع الزمنية في صحيفة التاريخ. [٣]
- لفت الانتباه إلى ما أحرزته بعض الشعوب المتقدمة في المجال الاجتماعي.
- إجراء الموازنة بين نتائج التمادي في الغيِّ والانصراف عنه.[٤]

تطور الشعر الاجتماعي:

لقد كانت الحياة قديماً تتميّز بالبساطة، لذلك خلتْ من المشكلات الكبرى التي تعرفها المجتمعات الحديثة، ونادرا ما تجد قصائد كاملة تتناول موضوعاً من هذا القبيل. وأما في عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية والعباسيين والمماليك والعثمانيين، فقد ساءت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وانفجر الشعراء ناظمين القصائد التي يبثون فيها شعورهم لكي تكون الأوضاع الاجتماعية صالحة

وهادئة وخالية من الانحلال الخُلقي ومما أدى إلى هذا، تهالك الحكام على ثروات الشعوب، وفي هذه الظاهرة قال شهاب الدين الأعرج (ت ٧٨٥هـ) قصيدته واصفا فيها تردي حالة الناس الاقتصادية في مصر وقتئذٍ. ففي عصر صدر الإسلام بالذات، يقول معن بن أوس في من يغضون بناتهم على طابع الشعر الاجتماعي في نظرة الإسلام إلى المرأة:

رأيت أناسا يكرهون بناتهم * وفيهن لا تكذب نساء صوالح

وفيهن والأيام تعثر في الفتى * نوادب لا يمللنه ونوائح[٥]

وشاع في العصر الحديث الشعر الاجتماعي وانتشر في المغرب والمشرق وفي المهجر ،واشتهر من الشعراء بهذا الغرض الشعري أمثال معروف الرصافي وحافظ إبراهيم وشوقي ضيف وخليل مطران ومحمد العيد وإليا أبو ماضي، وتناولوا قضايا اجتماعية باختلاف أنواعها. ومن أهم موضوعات الشعر الاجتماعي الحديث قضية الفقر والفقراء الذي قال فيها محمد العيد واصفا ما عرف الجزائريون من شظف العيش سنة ١٩٣١م أسماه (أيها الرافعون القصور) :

فشا الجوع واشتد عسر المعاش * وعادت سنو يوسف الغابرة [٦]

تفاقم كرب الفقير الكسير * أما عندكم من يد جابرة؟

وعم الكساد عروض البلاد * فسائر صفقاتها خاسرة

أما الانحراف الخلقي فقد تناوله خليل مطران بقوله:[٧]

بني الشرق فلنفقه حقيقة حالنا * لننجو أو يقضى القضاء المحتم

يصول علينا الجهل غير مدافع * بجيش له في كل ربع مخيم

ويعوزنا الإخلاص في كل مطلب * ويعوزنا الخلق المتين المقوم

الشعر الاجتماعي في نيجيريا:

لم ينل الشعر العربي عناية بالغة هادفة في الفترات الأولى من دخول الإسلام في نيجيريا، وذلك أنّهم اهتموا بدراسة مبادئ علوم الدين التي تعينهم على أداء الفرائض الدينية كالصلاة والصيام والزكاة والحج، ولما تيقظ نبوغهم في هذه العلوم الدينية درسوا ما وصل إليهم من الكتب الأدبية كمقامات الحريري والمعلقات السبع وغيرهما، وتذوقوا الأدب العربي بما فيه من الشعر والنثر، وتبحَروا فيهما حتى أجادوا في الشعر. ولكن لم تتجاوز موضوعات أشعارهم ما جبلوا عليها من الأغراض الشعرية التقليدية المعروفة التي هي المدح والهجاء والرثاء والحكم والوعظ والإرشاد والتوسل. [٨] ولقد ظهر في عصر الاستقلال (١٩٦٠ – ١٩٩٩م) بعض الأغراض الشعرية وفي طليعتها الشعر الاجتماعي كما عبر موسى عبد السلام مصطفى أبيكن (الدكتور) في مقالته اللغة العربية في نيجيريا بين الأمس واليوم، بأن هذا الغرض هو الذي يصور المجتمع النيجيري من حيث الأخلاق، والخطط، والمشكلات الاجتماعية مع الحلول لها أحياناً. و أضاف بأنه يأتي في كثير من الأحايين ، على طراز النقد والتوجيه للمعنيين[٩].

فقد قام عدد كبير من الشعراء بأدوار فعّالةٍ في نقد ما يرونه باطلا في هذا المجتمع على مرِّ العصور الأدبية الموجودة فيها. وذلك في أشعارهم الاجتماعية التي يتذمرون فيها عن أحداث تُشوِّه الوضع الاجتماعي في نيجيريا ومن ثم تلخصت موضوعات الشعر الاجتماعي في هذا البلد في: التنديد بالحكومة الاستعمارية ووصف الظروف الاجتماعية العصبية،[١٠] وقتال المستعمرين، والدّعوة إلى جهاد الكافرين والمفسدين في الأرض[١١]، وسفور النسوان في

الأسواق والمحافل، والدعوة إلى الثورة وجهاد المفسدين، وشكوى رؤساء الدولة النيجيرية[١٢]، وتحريم شرب الخمر[١٣]، وجروح القلوب[١٤]، وإخفاق شركة الكهرباء الوطنية، وتعطيل المصانع والشركات. [١٥] وما إلى هذه من الموضوعات الاجتماعية التي تناولها الشعراء في المجتمع النيجيري. وفي وجهة النظر التاريخية كما عبّر عنه د. شيخو أحمد سعيد غلادنثي في كتابه حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، حيث قال بأن الأديب عمر إبراهيم نظم قصيدته في حادثة هبوط أول إنسان على سطح القمر في شهر يوليو عام ١٩٦٩م[١٦]، فهذه الحادثة هي أضخم اكتشاف وإنجاز تكنولوجي وقتئذٍ، فهذه تستهدف إلى تسجيل هذه الواقعة في سجل تاريخ الأحداث حفظا من الضياع. يقول في مطلع القصيدة:

نزلتَ نزلتَ بسطح القمر ** وفيت لـ "جون" وعدَه المنظر

وعلاوة على هذا التسجيل التاريخي، فإن الشاعر أظهر شعوره نحو الحالة الاجتماعية التي تعيشها بلاده وقتئذٍ بما فيها من الفساد الديني والخُلقي من جميع نواحيه الفردية والقومية.[١٧] يقول الشاعر:

عرضت عليكم بأن تأخذوا ** لشاعركم قطعة يعتمر
مللت المقام بهذا المقام ** مقام النِّفاق وحقد وشر
رمى المال بالسم جلَّ العقول ** فكاد يميت جميعَ البشر
أباحوا القبيح لعشق النقود ** وضحُّوا بكل جميل وبر

وهكذا ينموا هذا الغرض الشعري في هذه المنطقة نمو الغرس في روضة خضراء حتى الوقت الراهن، وذلك لتوالي الأحداث والوقائع الاجتماعية التي تتيح الفرصة الذهبية لأدبائنا الأفاضل.

نبذة يسيرة عن حياة الشاعر:

هو عثمان بن عبد السلام بن محمد، وجدُّه محمد هاجر إلى إلورن التي هي عاصمة ولاية كوارا من البلد المعروف بولاية أُوْندُو الآن أيام رواج تجارة النخاسة والحروب بين القبائل الأهلية. وأُمّه الحاجة صفية بنت ذي القرنين بن عثمان بن الشيخ ماما أمير إلورن، الذي كان أميرا لمدينة إلورن من بين (١٨٩١-١٨٩٥م)، فالشاعر عثمان الثقافي إذن يورباوي من جهة الأب وفلاني من جهة الأم. [١٨] واشتهر الشاعر المرحوم بلقب (الثقافي) نسبة إلى جمعية الثقافة الإسلامية التي أسسها سنة ١٩٨٩م نتيجة لكثرة نشاطاته الثقافية والأدبية، وعرفت الجمعية الآن بجمعية الثقافي الأدبية الكمالية[١٩]. ولد هذا الشاعر بقرية أَرُوغِى بمحافظة أَسَا، ولاية كوارا عام ١٩٦٠م ونشأ وترعرع بها. وبدأ حياته التعلميّة منذ الصغر، بل في الثامن من عمره عند شيخه عبد الله بابا في قرية أَدَينمَالِى القريبة من قرية أبيه في نفس المحافظة. وبعد تخرجه من المدرسة وإتقانه القرآن الكريم مع التجويد، ألحقه أبوه بالمدرسة الابتدائية العربية الإنجليزية بقرية أَيفَويَى، وانتقل منها بعد إغلاقها إلى مدرسة البركات الابتدائية إلورن سنة ١٩٦٦م.[٢٠]

ومن شدة حرصه على العلم لم يكتف بالابتدائية فقط بل واصل تعلمه في المساء في اللغة العربية والدراسات الإسلامية عند شيخه تهامي — خريج معهد إلورن الديني الأزهري ، إلورن. وفي سنة ١٩٧٢م التحق بمدرسة الزمرة الأدبية إلورن، ثمّ بمعهد إلورن الديني الأزهري لجمعية أنصار الإسلام نيجيريا، وحصل فيه على الشهادة الإعدادية سنة ١٩٧٦م، ثم واصل هذا الشاعر المفلق في سير

حياته حتى عقد الامتحان مع زملائه للحصول على شهادة التربية العامة على المستوى العادي والعالي، وسجل لها بصفة طالب ذكيّ فريد في النضج حتى نجح بالتوفيق في نتيجة الامتحان. قدم الطَلَبَ للقبول في جامعة عثمان بن فودي، صوكوتو، نيجيريا، فالتحق بها سنة ١٩٨٤م، وتخرج منها سنة ١٩٨٧م. ونال درجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها بدرجة الامتياز. وفي سنة ١٩٨٩م التحق بجامعة إلورن، نيجيريا، لمواصلة الدراسات العليا، وحصل فيها على درجة الماجستير سنة ١٩٩١م، وحصل على درجة الدكتوراه في نفس الجامعة سنة ١٩٩٨م. وكان من حملة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها منذ عشرين سنة. ولقد عمل الشاعر معلِّمًا في المدارس الحكومية الابتدائية بمحافظة أسا بين سنوات ١٩٧٧– ١٩٨٤م، ومدرسا في كلية مدرسي اللغة العربية جيبا تحت رعاية وزارة التربية لولاية كوارا، وكان محظوظا بكونه محاضرا بجامعة إلورن، قسم اللغة العربية، كلية الآداب بعد إتمام دراسة الدكتوراه سنة ١٩٩٩م.[٢١] وتوفي في صبيحة يوم الخميس الموافق يوم السابع من شهر فبراير، عام ٢٠١٩م (٧/ ٢/٢٠١٩م بعد أن صلَّ بالنّاس صلاة الصبح في مسجده.

وللمرحوم آثار علمية عديدة خالدة وإسهامات ثمينة قيّمة في ميدان اللغة العربية وآدابها، والدراسات الإسلامية، والتأريخ وغيره. وفيما يلي بعض أعماله الأدبية: سراج العابد في المواعظ الجميلة ومدج الشيخ الفاضل، قصائد المعروف والمنكر، الإسلام في غرب أفريقيا.، تائية الثقافي في تنبيه الأمة على الأمور الهامة، تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال، خلاصة التاريخ الإسلامي للمدارس الثانوية، لامية الثقافي في رثاء أبي بكر أولوصولا سَرَكِي، المسابقات الأدبية ومحاكمها النقدية، أضواء التهاني على

أعجوبة الزمان، منهج الإنشاء للمدارس الإعدادية والثانوية وكليات التربية والمعاهد الإسلامية العليا. وله العديد من المقالات العلمية والأدبية والتاريخية في المجلات في داخل نيجيريا وخارجها. ارتقى على منصب الأستاذ المساعد وكان ينتظر قبيل وفاته موافقة مجلس شيوخ جامعة إلورن لترقيته على كرسي الأستاذية. تزوّج الشاعر ورزقه الله تعالى بالبنين.

مناسبة القصيدة:

قال هذا الشاعر المفلق هذه القصيدة سنة ١٩٩٥م، لما رأى الوضع الاجتماعي في مدينة إلورن على حالٍ غير معتادٍ، إذْ إن بعض الفتيات غرقن في الفساد من سفور في الأسواق والحفلات ورقصهن فيها بدون حياء، وتداول الأناشيد المحرمة على ألسنتهن، ولبس الثوب الفتّان، واتخاذ الأخدان، وانهماكهن في الزنا مع غير المسلمين، ولاسيما بيع أراضي المسلمين لغيرهم من المسيحيين لبناء الكنائس في مدينة تعرف بمدينة الدين والعلم والعلماء الصّالحين. وكان عدد أبيات هذه القصيدة خمسة وعشرين بيْتاً.

عرض القصيدة:

سُــؤَالِي إِلَى أَذْكَــى الشَّــبَابِ مُقَــدَّمٌ ... وَكُلُّــكُمْ أَذْكَــى لَــدَيَّ وَأَحْــكَمُ
أَجِيبُوا –شَــبَابَ المسْلِمِينَ– مَسَائِلِي ... وَأَنْتُــمْ بِأَسْــرَارِ المسَــائِلِ أَعْلَــمُ
لِمَــاذَا تَعَلَّــمْنَا وَمَــا فَــضْلُ عِلْمِــنَا ... إِذَا لَمْ يُــفِــدْنَا كُــلُّ مَــا نَتَــعَلَّمُ
وَمَالِي أَرَى فِي بَــلْــدَةِ الشَّيْخِ عَالِمٍ[٢٢] ... كَنَــائِسَ لاَ تُحْصَــى وَلاَ تَــتَهَدَّمُ
أَمَــامَ مُصَــلَى العِيــدِ أَعْــلَى كَنِيــسَةٍ ... أُؤَخِــرُ عَــنْ تَقْدِيــرِهَا وَأُقَــدِمُ
كَنَــائِسُ تُبْنَى حَــيْثُ تُبْــنَى مَــسَاجِدُ ... يُصَــيِّرُنَا الدُّسْــتُورُ عَنْهَــا فَنَفْــحَمُ

لِمَـاذَا نَبِيـعُ الأَرْضَ–وَالأَرْضُ أَرْضُـنَا ... لِـكُلِّ مَسِـيحِي يُضِـلُّ وَيَظْلَـمُ
يُقَـالُ: كَفُـورٌ أَوْ جَهُـولٌ يَبِيعُـهَا ... وَكَـمْ مُـسْلِمٍ خَيْـرَ يَـبِيعُ وَيَكْتُمُ
وَكَـمْ مِـنْ غَـنِيٍّ أَوْ فَـقِيرٍ يَبِيـعُهَـا ... إِذَا مَـا سَأَلْـنَاهُ : (لِمَـاذَا) يُجَمْجَـمُ
لِمَـاذَا تَـعَـلَّمْنَا وَمَـا فَضْـلُ عِلْمِـنَا ... إِذَا لَـمْ يُـفِـدْنَا كُـلُّ مَـا نَتَعَـلَّمُ
إِذَا سَاسَـنَا غَيْـرَ الْحَنَـفِيِّ جَـائِرًا ... بِدُسْـتُورِهِ الْمُغْـوِيِّ يُـدِيرُ وَيُقَـدِّمُ
يُغَـيِّرُ أَوْضَـاعَ الـبِلاَدِ تَعَـسُّفًا ... وَنَسْكُـتُ عَنْـهُ رَيْثَمَـا يَتَحَـكَّمُ
نُنَـدِدُ بِأَحْـكَامِهِ بَعْـدَ عَـصْـرِهِ ... كَـأَنْ لَمْ يَكُـنْ فِي عَـهْدِهِ مَـنْ يُـقَـوِّمُ
لِـمَاذَا تَـعَلَّمْـنَا وَمَـا فَضْـلُ عِلْمِنَـا ... إِذَا لَـمْ يُفِـدْنَا كُـلُّ مَـا نَتَـعَـلَّمُ
لِتَمْشُـوا إِلَى الأَسْـوَاقِ كَيْـفَ نِسَـاؤُنَا؟ ... وَتَمْشُـوا إِلَى الحَفَـلاَتِ كَـيْ تَتَفَهَّمُـوا
نَـرَاهُنَّ يَرْقُـصْنَ جُنُـونًا وَتَـارَةً ... تَرَاهُـنَّ يُنْـشِدْنَ نَـشِيدًا يُـحَرَّمُ
وَيَلْبَسْـنَ ثَـوْبَ الْخِـزْيِ فِي كُـلِّ مَحْفَـلٍ ... وَيَـطْلُبْنَ أَحْـدَانًا وَلَـوْ لَـمْ يُسَـلِّمُ
تَـرَى بَعْضُـهُنَّ فِي الْحِجَـابِ زَوَانِيَـا ... وَهَـذَا سُلُـوكٌ فِي المذَاقَـةِ عَلْـقَمُ
وَمِنْـهُنَّ أَتْـنَ لِلْغِـنَى ذَلِيلَـةً ... وَأَتْـنَ مَسِيحِـي أَدِيـبٌ يُعَـلِّمُ
وَكَـمْ شَابَـةٍ مِنَـا تَـزَوَّجَ غَـيْـرَنَا ... كَـأَنْ لَـمْ يَكُـنْ فِـينَا عَلِـيمٌ مَعَـظَّمُ
فَهَذِي –شَبَابَ المسْلِمِينَ– مَـسَائِلِي ... وَخَيْـرُ سُـؤَالٍ مَـا يُـجَابُ وَيُكْـرِمُ
أَنَـا الطَّـائِرُ الغَـرِيْدُ بَـيْنَ طُـيُورِكُـمْ ... وَمُنْهَـجُ شِـعْرِي وَاسِـعٌ وَمُنَـظَّمُ
فَـلَـسْتُ بِـمَدَّاحِ الَّـذِينَ تَـغَطْـرَسُوا ... وَلَـوْ أَمَـرُوا أَوْ شَـرَفُوا أَوْ تَعَـلَّمُوا
وَلاَ أَنَا هَـاجٍ بِالمَـقَالِ الذِي اهْتَـدَى ... وَلَـوْ أَنَّـهُ عَبْـدٌ ذَلِـيلٌ مُذَمِّـمْ
وَلَـكِنِّي الفَقِـيرُ، أَبْـنِي قَـصَائِـدِي ... عَلَـى أَصْلِـهَا ، أَهْـدِي بِـهَا وَأَفْهَـمُ

مضمون القصيدة:

أنشأ الشاعر هذه القصيدة لتغيير الوضع الاجتماعي الذي كانت تعيشه مدينة إلورن وقتئذ حيث كان الشبان من الرجال والنساء ينهمكون في انتهاك حرمات الله تعالى بأخلاقهم الفاسدة وحركاتهم الشنيعة، وجور الأمراء على المسلمين وقتئذ بنفوذهم الظالم.

استهلّ هذا الأديب ميميته بتوجيه سؤاله إلى كل من له ذكاء تامّ من الشباب، مع حسن ظنه بهم أنهم جميعا أذكياء. ثمّ يستجب شباب المسلمين، ذلك أنهم عالمون بمضامين القضايا المستهدفة. ثم يطرأ عليهم سؤالا آخر عن فضل جميع ما قد تعلّموا من العلوم، إذا هم أهملوا جميع ما قد درسوا ولم يستفيدوا منه. ويستغرب الشاعر من وجود الكنائس الكثيرة في بلدة الشيخ عالم المعروفة بالعلم والدّين، حتى بُني أكبر وأعلى الكنائس أمام مُصلَّى العيد، وتعدى هؤلاء المسيحيون إلى أن بنوا كنائسهم جانب بعض المساجد في بعض المناطق في صميم مدينة إلورن، ويسكتنا دستور الحكم عن هذا الوضع البشيع. ثمّ وجّه الشاعر سؤالا آخر إلى قومه عن بيعهم أراضيهم للمسيحيين الظالمين المضلين، وجوابهم عن هذا السؤال هو أن جهالهم وكفّارهم هم الذين يبيعون هذه الأراضي، ولكنهم يكتمون بيعها في كثير من الأحايين، وإذا اكتشفنا أنهم باعوها وسألناهم لماذا باعوها للكفار فلا يستطيعون الدِّفاع بل يجمجمون.

أعاد الشاعر سؤاله المقدم سابقا مرّة ثانية، عن فضل علمهم إذا لم يستفيدوا مما قد تعلموا ولم يعملوا به، حيث يرون رجال السياسية يجورون على إخوانهم ويغيّرون أوضاع البلاد العادلة ويبدّلونها بالظلم ولكنهم يسكتون عنها، ولم يمتثلوا

بأمر الله تعالى حيث يقول في كتابه المجيد: " *ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون*"(٢٣) وقوله صلى الله عليه وسلم: " *من رأى منكم منكرا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان*"(٢٤)

ثم نظهر جميع ما قد حكموا جورا بعد انقضاء أيامهم ونفوذهم في الحكم كأن لم يكن في زمانهم من هو رشيدٌ. ومن هنا انتقل الشاعر إلى قضية اجتماعية أخرى وهي قضية اختلال الرجال بالنّساء في الأسواق حيث أعاد سؤاله المقدم سابقا مرّة ثالثة، عن فضل علمهم إذ أنهم لا يستفيدون مما قد تعلموا، ولم يعملوا به، ويأمرنا في هذا الوقت بالذهاب إلى أسواقنا وحفلاتنا لنشاهد فيها ما كانت نساؤنا عليه من الأخلاق الفاسدة، تراهنّ في هذه الأماكن راقصات كمن أصابه المسّ من الجن، منشدات الأناشيد التي لا مرحبا بها في المروءة والدين، متزينات بالزي الفاتن الفضفاض، باحثات عن الأخدان ولو كانوا غير المسلمين. ومنهنّ مجموعة من النساء خبثت أخلاقهن وساءت سريرتهنّ وكأنك تشم من حركاتهن وتصرفاتهن رائحة وسخانة شبيهة برائحة النتن. وكم منهنّ من تزوّجتْ غير المسلم كأن لم يكن من بيننا علماء محترمين.

وفي البيت الواحد والعشرين، يقول الشاعر مواجها شباب المسلمين بأنه قد أنهى سؤاله وينتظر منهم الجواب على أسئلته. اختتم الشاعر قصيدته بذكر أنه شاعر حُرّ مثل الطائر الغريد الذي يوسع خياله، ويصرح منهجه الشعري، وهو أنه لا يمدح الأمراء الفاويين ولو أنهم من أشراف قومهم وأعلمهم.كما أنه لا يهجوا الذي اهتدى بهدي دينه ولو كان عبدا ذليلا ومذمّما. وأنه ينظم شعره على أصلها ليهدي بها الناس بفهم الأوضاع التي يعيشون فيها.

أفكار الشاعر في القصيدة:

كان المرحوم الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي في هذه القصيدة، مثيرا لبعض الانفعالات والإحساسات والانفجارات الخُلقية، نتيجة لما كان عليها مسلمو مجتمعه من أغنياء، وفقراء، وشُبَّان من الأخلاق الطالحة. فقام الشاعر منفجراً بنقد هذه الأخلاق الشنيعة بهذه الأبيات بفكر حاذق للإصلاح والتصفية. وكان متحمساً بحماسة الدين والدولة، ودعا قومه بحمايتهما. وهذه الفكرة، هي فكرة إسلامية حماسية وفكرة دولية إصلاحية، وكلتا الفكرتين امتدّتا جذورهما من الكتاب والسنة لتعمُّق وفهم شاعرنا بهما.

أسلوب الشاعر في القصيدة:

استخدم هذا الشاعر الأسلوب الأدبي المثير للعاطفة، حيث أنّه اختار من الألفاظ أبسطها وأوضحها، التي يشعر بها القارئ أو السامع مغزى ودلالة القصيدة في أوّل وهلة. واعتمد على الأنماط القصصية والتّصويرية في الأداء ليقنع المستهدفين ويحرّك شعورهم وعواطفهم لكي يتنبّهوا إلى ما كان يدعوهم إليه من الإصلاح والتصفية في المجتمع. فإذن، فالقصيدة حاوية لقوة العاطفة والشعور، وللشاعر قوام تامٌّ في الأسلوب، والجزالة في التركيب، والأناقة في التعبير، والفخامة في الأداء مع حسن المطلع والاختتام.

مُقْتطفات عروضية في القصيدة:

أجرى الشاعر قصيدته على منوال بحر الطّويل المقبوض العروض والضرب كما في تفاعيلها التالي:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ** فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

ومن ميزات هذه القصيدة أنها من حيث قوافيها قصيدة مطلقة لوجود الضمة اللازمة في رويها. وباعتبار رويّها فإن القصيدة ميمية للزومها الميم (م) في آخر كل البيت.

وقد حاول واستطاع الشاعر بلوغ القمة من الجودة باستعمال الكلمات المناسبة في الأماكن اللائقة بها، ولا سيما تلاؤم الوزن الشعري المستخدم في القصيدة. ولم يقترف من الضروزات ما لا تقبل ولا يُسْمح بها عند العروضيين. اللهم إلاّ أننا وجدنا الحشو[٢٥] في بعض الأماكن،[٢٦] ومثال ذلك في هذه القصيدة كالآتية:

لـمـاذا	تـعـلْـلـمـنـا	ومـا	فـضْـل عـلـمـنـا	** إذا لـم	يـفـدْنـا كـلْـل	مـا نـتـعـلْـلـمـو
ـَـوَ	ـَـوَـوَ ـَـوَ	ـَ	ـَ ـَـوَ	ـَـوَ	ـَـوَ ـَـوَ	ـَـوَ ـَـوَ

وهذا التغيير يسمى علة، وهو تغيير يلتزم.[٢٧] ولا يُفسد التركيب الشعري أبداً. وعلى الرّغم من هذا، كان هذا الشعر من الأشعار الاجتماعية الممتازة مع توازنه مع إيقاع الموسيقي الجيّد، والأوزان والقوافي الزّاخرة.

مُقْتطفات بلاغية في القصيدة:

في هذه القصيدة تناول الشاعر أنواع المظاهر البلاغية من البيان والمعاني والبديع مما زاد قصيدته رونقاً وجمالاً. ففي البيت الثاني، والخامس عشر، أتى الشاعر بصيغة الأمر الذي هو من مباحث الإنشاء مثل استيراد كلمات أجيبوا، لتمشوا، تمشوا= وهي معطوفة على فعل الأمر الذي سبقها وهو لتمشوا وكل هذه إشارة إلى طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء[٢٨] وكلها جمل إنشائية طلبية تستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب.

وإذا تصفّحنا هذه الأبيات جيّداً نرى بعض المظاهر الاستفهامية المختلفة، ففي البيت الثالث، والتاسع، والعاشر، والرابع عشر نجد كلمة "لماذا" التي تمثل أداة الاستفهام لتفيد الإنكار. وفي البيت الثامن، والتاسع، والعشرين نرى كلمة (كمْ) وهي أداة الاستفهام يطلب بها التعيين في عدد مبهم.[٢٩] وفي البيت الخامس عشر، نجد لونا آخر في استعمال أداة الاستفهام الأخرى (كيف) يطلب بها تعيين الحال،[٣٠] أي حال نسائنا في مجتمعنا.

وعلاوة على هذا، كان الشاعر في البيت الثامن عشر يؤثّر في نفس المتلقي عندما شبَّه سلوك شباب مجتمعه بالعلقم في المذاقة إذ هو مرّ، ويعدّ هذا التشبيه تشبيهاً مؤكدا[٣١] لعدم وجود أداة التشبيه فيه. ثمّ تصرّف مثل هذا التصرف في البيت الثاني والعشرين من القصيدة حيث شبّه نفسه بالطائر الغريد ويعدّ هذا التشبيه بليغاً .[٣٢]

ومن ألوان البديع الموجودة في هذه القصيدة استعمال كلمات (مصلّى- كنيسة) و(أؤخر - أقدم) و(كنائس - مساجد) و(غني — فقير) متقابلة في البيت الخامس، والسّادس، والتاسع بالتّوالي، تعدّ كل من هذه الكلمات في البلاغة طباقاً، إذ هو جمع بين معنيين متقابلين.[٣٣]

خصائص الشعر الاجتماعي الموجودة في القصيدة:

ومن المعروف أن الشعر الاجتماعي يسجل أحيانا بعض الأحداث والوقائع الزمنية في سجل التاريخ، وبهذا استطاع الشاعر تسجيل ما انهمك فيها الأمة في ذلك الوقت من المعاملات المشوهة التي تدنس الأوضاع الاجتماعية حينذاك. واستهدف هذا القريض إلى لفت أنظار الجميع بخواصهم وأعوامهم إلى ذلك

الوضع السيّئ، ودعاهم إلى الإصلاح باستخدام أساليب تعبيرية ملائمة، وإشعال عواطفهم بتصوير حالاتهم الراهنة لهم. حاول الشاعر المرحوم تصوير حالة المرأة وقتئذٍ كما قد فعل أمير الشعراء أحمد شوقي[٣٤] لما كثر سفور النساء في مجتمعه.

يقول الثقافي في ميميته:

وَيلْبَسْنَ ثَوْبَ الْخِزْيِ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ وَيَطْلُبْنَ أَحْدَانًا وَلَوْ لَمْ يُسَلِّمُ
تَرَى بَعْضُهُنَّ فِي الْحِجَابِ زَوَانِيَا وَهَذَا سُلُوكُ فِي المذَاقَةِ عَلْقَمُ

وقال أحمد شوقي لـمَّا حضر حفلة نسائية انعقدت بدار التمثيل العربي برئاسة السيدة هدى شعراوي سنة ١٩٢٧م:

قل للرّجالِ: طغى الأَسير طيرُ الحجالِ متى يَطير؟
أوهَى جَنَاحَيهِ الحديـ ـدُ، وحَزَّ سَاقَيهِ الحرير
ذهب الحِجابُ بِصَبرِهِ وأَطَال حَيرَتَهُ السُّفور
إنّ السَّماءَ جَديرَةٌ بِالـ طّيرِ، وَهوَ بِهَا جَدِير
حُرّيّةٌ خُلِقَ الإناثُ لها، كَما خُلِقَ الذكور[٣٥]

الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة عرض الشعر العربي الاجتماعي النيجيري الذي يكشف الغطاء عن إسهامات أدبية خالدة لأدبائن، وذلك لإظهار مدى تفننهم في الحقل الأدبي. والتجأت إلى ذكر مفهوم الشعر الاجتماعي وتطوره من النشأة والنضوج، ولاسيما في نيجيريا. وذكرت السبب الذي دعى شاعرنا إلى تنبيه الأمة بميميته الشهيرة. ودرست فيها الملامح الفكرية والعروضية والبلاغية مع بعض

الخصائص الاجتماعية الموجودة في القصيدة مع سرد النماذج المماثل بهذه الخصائص في شعر العرب.

توصلتْ الدراسة إلى بعض النتائج المهمة منها، أن الأمة في أشدّ الحاجة إلى دراسة هذه القصيدة وأمثالها في الفصول الدراسية والجلسات الوعظية لكي نغيّر وضعنا الاجتماعي الراهن، إذ هو أَفْسَدُ ما كان عليها المجتمع من الأخلاق الطالحة من السفور والاختلاط. ولقد أسهم هذا الجهد الغالي إلى تصفية القذارات الخُلقية والمعاملات الفتاكة في وضع المجتمع المرجوّ المنشود (إلورن) وامتد جذور هذا التغيير والتصفية إلى غير هذه المنطقة حتى عمّ النفع في داخل نيجيريا وخارجها.

ومن الملاحظة أن هذه القصيدة تنتمي إلى الوصف أكثر من بقية أغراض الشعر المألوفة المعروفة. فإذا قام أيُّ أديب بمثل ما قام به المرحوم الدّكتور عثمان عبد السلام محمد الثقافي من إصلاح المجتمع بشعره أو نثره، اعتبر عمله الأدبي ذلك عملاً أدبياً اجتماعيّاً.

المصادر والمراجع:

(١) القرآن الكريم.

(٢) أبو بكر جامع السنوسي (٢٠١٢م/١٤٣٣هـ)، التقويم البلاغي لمختارات من الخطب المنبرية للإمام الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي. رسالة أكاديمية مقدمة إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

(٣) أحمد مصطفى المراغي (٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ)، علوم البلاغة، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع لبنان.

(٤) شيخو أحمد سعيد غلادنثي، (١٩٦٦م-١٤١٤هـ) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، المكتبة الإفريقية، الطبعة الثانية.

(٥) عبد العزيز عتيق، (٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ) علم العروض والقافية، الشركة الدولية للطباعة القاهرة. الطبعة الأولى.

(٦) عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي (٢٠١٠م) قصة الأدب في الحجاز، مكتبة الكليات الأزهرية.

(٧) عثمان عبد السلام الثقافي (١٩٩٣م) الإسلام في غرب أفريقي مطبعة ناصر أجَيْتمابي، غَمْبَرِي، إلورن، ط ١.

(٨) عثمان عبد السلام محمد الثقافي (٢٠٠٨م) تأريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال. مطبعة:شركة العرب الدولية للطبع والنشر شارع عابدين- القاهرة- مصر الطبعة الثانية.

(٩) عيسى ألبى أبو بكر(٢٠٠٥م) الرياض (ديوان) مطبعة ألبى للطّبع والنشر،حارة جِمْبَا، إلورن، ولاية كوارا، نيجيريا، ط ١.

(١٠) عيسى ألبى أبو بكر (٢٠٠٨م). السباعيات، النهار للطبع والنشر والتوزيع، ٧ شارع الجمهورية-عابدين- مصر.

(١١) - محمد العيد آل خليفة، كتاب ديوان محمد العيد آل خليفة - أيها الرافعون القصور - المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/32691/230#p14 تأريخ زيارة الموقع: ١٨-٠٢-٢٠١٩م.

(١٢) محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف الدين النووى، متن الأربعين النّووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، مكتبة ومطبعة المسجد الحسيني القاهرة.

(١٣) موسى عبد السلام مصطفى أبيكن (الدكتور) اللغة العربية في نيجيريا بين الأمس واليوم. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، متوفر في <https://www.majma.org.jo/ojs/index.php/JJaa/article/view/565>. تأريخ الوصول: ١٨ فبرير، ٢٠١٩م.

(١٤) الموقع الالكتروني: من طرف abbassia الشعر الاجتماعي وخصائصه www.arab2-daz.arabepro.com. تأريخ زيارة الموقع: ١٨-٠٢-٢٠١٩م

الهوامش:

(١) – عثمان عبد السلام محمد الثقافي (٢٠٠٨م) **تأريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال.** مطبعة: شركة العرب الدولية للطبع والنشر شارع عابدين– القاهرة– مصر الطبعة الثانية. ص: ٦٥–٦٦.

(٢) – الموقع الالكتروني: من طرف **abbassia الشعر الاجتماعي وخصائصه** www.arab2-daz.arabepro.com. تأريخ زيارة الموقع: ١٨–٠٢–٢٠١٩م

(٣)– شيخو أحمد سعيد غلادنثي، ، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، (١٩٦٦م–١٤١٤هـ) المكتبة الإفريقية،الطبعة الثانية، ص، ١٦٨،

(٤) – عثمان عبد السلام محمد الثقافي، المرجع السابق، **تأريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال.**

٥– عبد الله عبد الجبار ومحمد عبد المنعم خفاجي (٢٠١٠م) **قصة الأدب في الحجاز**، مكتبة الكليات الأزهرية، ص ٤٦٨.

(٦) – محمد العيد آل خليفة، **كتاب ديوان محمد العيد آل خليفة – أيها الرافعون القصور** – المكتبة الشاملة الحديثة، ص٢٢٩. https://al-maktaba.org/book/32691/230#p14 تأريخ زيارة الموقع: ١٨–٠٢–٢٠١٩م.

(٧) – الموقع الالكتروني: من طرف abbassia **الشعر الاجتماعي وخصائصه** www.arab2-daz.arabepro.com. تأريخ زيارة الموقع: ١٨-٠٢-٢٠١٩م

٨- شيخو أحمد سعيد غلادنثي، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، (١٩٦٦م-١٤١٤هـ) المكتبة الإفريقية، الطبعة الثانية، ص. ١٠٣-١٠٤.

(٩)– موسى عبد السلام مصطفى أبيكن (الدكتور) **اللغة العربية في نيجيريا بين الأمس واليوم. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**،[S.l.]، n. 81، mar. 2017. ISSN 0258-1094. متوفر في: <https://www.majma.org.jo/ojs/index.php/JJaa/article/view/565>. jjaa.: ص، ٢٥٩، تأريخ الوصول: ١٨ feb. 2019.

(١٠) – عثمان عبد السلام محمد الثقافي. المرجع السابق. ص. ٣٥

(١١) – المرجع نفسه، ص: ٦٥

(١٢) – المرجع نفسه، ص: ٦٨

(١٣) – عيسى ألبى أبو بكر(٢٠٠٥م) **الرياض (ديوان)** مطبعة ألبى للطّبع والنشر،حارة جِمْبَا، إلورن، ولاية كوارا، نيجيريا. ط ١.ص: ١٠١

(١٤) – عيسى ألبى أبو بكر(٢٠٠٨م) **السباعيات**، النهار للطبع والنشر والتوزيع، ٧ شارع الجمهورية-عابدين- مصر، ط ١، ص: ٩١

(١٥) – عيسى ألبى أبو بكر (٢٠٠٥): **الرياض (ديوان)**. ص: ١٥٦

(١٦) – شيخو أحمد سعيد غلادنثي، **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا**، (١٩٦٦م-١٤١٤هـ) المكتبة الإفريقية، الطبعة الثانية، ص. ١٦٩،

(١٧) – المرجع نفسه، ص.١٧٠- ١٧١

(١٨) – عثمان عبد السلام الثقافي (١٩٩٣م) **الإسلام في غرب أفريقي**، مطبعة ناصر أَجَيْتمابي، غَمْبَرِي، إلورن، ط ١، ص: ٣

(١٩) – أبو بكر جامع السنوسي (٢٠١٢م/ ١٤٣٣هـ)، **التقويم البلاغي لمختارات من الخطب المنبرية للإمام الدكتور عثمان عبد السلام الثقافي**. رسالة أكاديمية مقدمة إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إلورن، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، ص: ١٢

(٢٠) – **الإسلام في غرب أفريقي**. (١٩٩٣م).ط ١، ص: ٤

(٢١) – المرجع نفسه. ص: ١٥ – ١٦

(٢٢) – هو الشيخ صالح ابن جنتا، استعان به أهل مدينة إلورن ضد الهجومات الحربية، ولغزارة علمه واستفادة الناس به أصبح زعيما للمسلمين ولقبوه بالشيخ عالم .

(٢٣) – سورة آل عمران الآية ١٠٤

(٢٤) – محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف الدين النووى، **متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية**، مكتبة ومطبعة المسجد الحسيني القاهرة، ص٤٠-٤١.

٢٠ – والحشو هو دخول القبض في الوزن الشعري الذى يؤدي إلى حذف الخامس الساكن فى مثل: فَعُولُنْ فينقل إلى فَعُولُ.

(٢٦) – عبد العزيز عتيق، (٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ) **علم العروض والقافية**، الشركة الدولية للطباعة القاهرة. ط ١، ص: ٢٤

(٢٧) – المرجع نفسه. ص: ٢٥

(٢٨) – أحمد مصطفى المراغي (٢٠٠٨م/١٤٢٩هـ)، **علوم البلاغة**، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع لبنان. ص. ٦٤

(٢٩) – عبد العزيز عتيق، المرجع السابق. ص: ٥٨

(٣٠) – المرجع نفسه. ص: ٥٨

(٣١) – المرجع نفسه ص: ١٩٦

(٣٢) – المرجع نفسه. ص: ١٩٦

(٣٣) – المرجع نفسه. ص: ٢٦٩

٣٤ – أحمد شوقي بن على بن أحمد شوقي: أشهر شعراء العصر الحديث، أمير الشعراء.

(٣٥) – طاهر عبد الحسين جال درة، **حجاب المرأة في شعر أحمد شوقي**، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، السبت ٨ (مايو) ٢٠١٠م، تأريخ الزيارة: فبراير ٢٠، ٢٠١٩م.